مواجهة أزمة الطاقة بالسياسة والعلم.. لا بالقوة!

محمود عبد المنعم مراد

في مساء الاثنين الماضي، اختتم اجتماع القمة للدول الصناعية الغربية السبع الكبرى، الذي عقد في البندقية بإيطاليا، وحضره رؤساء الولايات المتحدة وكندا واليابان، وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا. وبجانب مشكلات سياسية راهنة جرى بحثها، كالاحتلال السوفيتي لأفغانستان، والرهائن الأمريكيين في ايران، كان البند الأول والأهم الذي تناقش فيه المجتمعون، هو مواجهة أزمة الطاقة، والارتفاع المتواصل المتزايد لأسعار البترول. ويقول الناس إن هذا المؤتمر الأخير، كان أنجح مؤتمر دولي مماثل. فقد اتفقت فيه الآراء حول هذه المشكلة الكبرى اتفاقا تاما، رغم كل ما يشوب العلاقات بين المجتمعين من اختلاف في وجهات النظر، أو تنافس على أسواق العالم.

وكان هذا جديرا بأن يحدث. فأزمة الطاقة وارتفاع أسعار البترول، أصبحت هي الشغل الشاغل لكل سكان الأرض، وبخاصة الدول الصناعية التي تعتمد على النفط في حياتها اليومية، وفي نشاطها الصناعي بجميع أشكاله. وهي السبب في التضخم، وارتفاع الأسعار بشكل عام، وفي ارتفاع نسبة البطالة، وتهديد الحياة الاقتصادية العالمية كلها بالخطر. وقد ذكرت مسز تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا، ان أسعار البترول زادت في العام الأخير وحده مائة في المائة، فهل من المعقول أن يستمر الحال على هذا المنوال... وإلى أين يتجه العالم لو بقيت الأمور هكذا؟ وسكان العالم الثالث، الذين لا هم من منتجي البترول ومصدريه، ولا هم من المتقدمين في الصناعة وانتاج السلع المصنوعة، يعانون أكثر من غيرهم من رفع أسعار البترول، وبالتالي رفع أسعار جميع المنتجات الصناعية، والزراعية أيضا. انهم مستهلكون، وهم يدفعون في السلعة اليوم، ما كانوا يدفعون نصفه منذ عام، وليس هناك ما يعوضهم عن هذه الزيادة الفاحشة، ولذا لم يعد من قبيل التشاؤم أو المبالغة أن يقال ان نسبة كبيرة من سكان العالم الثالث تشكو الآن من الجوع، وتهدد حياتها بالفناء، لأنها لا تجد ما تأكله.

ويبدو أن عصر استخدام القوة – في عالم الغرب على الأقل – قد انتهى. لأن الحرب الآن، اذا كانت حربا كبرى، تعني فناء العالم. ونحن لا نريد أن نموت، ولكنا نريد أن نحيا حياة أقل مشقة، وأكثر رخاء. ولهذا لم يكن البحث يدور حول استيلاء الدول السبع الكبرى على منابع الزيت بالقوة، ولا حتى التهديد باستخدامها.

صحيح أن الزعماء السبعة وجهوا قدرا كبيرا من النقد اللاذع للدول المصدرة للبترول، ولكنهم لم يلجأوا إلى الوعيد، أو التهديد باستخدام السلاح. بل اتفق الزعماء على أن يواجهوا المشكلة بأنفسهم، بأن يتعهدوا جميعا بالحد من استخدام النفط خلال السنوات العشر القادمة، والبحث عن بدائل كالفحم والخطات النووية التي تقوم بإنتاج الكهرباء، وفي مقدورهم أن يصل تخفيض المستهلك لديهم من النفط عند تنفيذ هذه الخطة، إلى عشرة في المائة من الاستهلاك الحالي. وهي نسبة وان كانت تبدو قليلة، فإنها كافية لتثبيت أسعار النفط، ومواجهة الدول المصدرة للبترول. التي أصبحت موضعا للوم جميع الأطراف المعنية من سكان العالم.

والقرار الإيجابي الثاني الذي اتخذه زعماء الدول السبع، هو لفتة نحو أحوال العالم الثالث الفقير، الذي يعاني أشد المعاناة في ظل ظروف الاقتصاد العالمي القاسية الراهنة. وقد قرروا أن يزيدوا من معوناتهم للدول الفقيرة، حتى على استنباط ما لديها من موارد نفطية وثروة غذائية. نباتية وحيوانية. وليس الدافع إلى هذه اللفتة دافعا انسانيا في المقام الأول، ولكنه دافع سياسي واقتصادي قبل كل شيء آخر.

لقد بلغ العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي خلال الربع الأول من العام الحالي، مبلغ ٢٥٧٠ مليون دولار وهو مالم يحدث منذ منتصف عام ١٩٧٨. وقد فسر المسئولون الأمريكيون حدوث هذا العجز الكبير بأنه نتيجة مباشرة لاستمرار الارتفاع في أسعار البترول، مما يهدد بالركود في قطاعات اقتصادية أساسية. وارتفاع نسب البطالة وهبوط مبيعات السلع الاستهلاكية. وما ينطبق على أمريكا، ينطبق على زميلاتها في الدول الصناعية الغربية. وهكذا كان لابد من اجتماع للقمة. وكان لابد من الاتفاق الكامل بين الأعضاء حول الاجراءات الكفيلة بمواجهة هذا الخطر.

أما الدول المصدرة للبترول، فلم يحدث أن اجتمعت واتفقت على خطة موحدة. ومن الآن. سوف تكون المواجهة بينها، مختلفة مشتتة قصيرة النظر، وبين أرقى وأعظم دول العالم. متحدة متماسكة، تنفذ خططها بالسياسة والعلم والدراسة.

وتظل هذه المواجهة، يمكن ان تكون من الآن معروفة النتائج.

الانسحاب الجزئي

وفي أثناء انعقاد القمة السباعية الغربية في مدينة البندقية، أطلق الاتحاد السوفيتي قنبلة صغيرة المفعول، أراد بها أن يحدث فرقة في صفوف الرؤساء السبعة. فقد حدث فجأة أن أعلن الروس قيامهم بانسحاب جزئي من أفغانستان، قدره الخبراء بأنه يمثل عشرة في المائة من قواتهم الموجودة هناك.

وقد حدث فعلا خلاف في وجهات النظر بشأن هذه الخطوة. فقد قال ديستان، وهو الشخصية الجديدة بين الشرق والغرب، إنها ينبغي أن تحظى بالتأييد، وتعتبر خطوة ايجابية طيبة. بينما قال كارتر ان هذا الانسحاب الجزئي لا يمكن أن تكون له قيمة، الا اذا اعلن الروس انه مقدمة للانسحاب التام الكامل. وهذا مالم يقله الروس، ولم يشيروا اليه، بل على العكس، قالوا ان هذا الانسحاب نتيجة لاستقرار الأحوال في أفغانستان، تحت السيطرة الروسية طبعا.

وعلى أية حال فقد مرت القنبلة بلا دوي على الاطلاق. فليس هناك فرق بين أن يكون للروس تسعون ألف جندي في أفغانستان، وبين أن يكون لهم مائة ألف. ثم أين هو الضمان الذي يكفل عدم ارسال قوات بديلة في المستقبل. تلك التي عادت اجراجها إلى الأرض السوفيتية؟. ان الاحتلال قائم، والمشكلة لم تحل، وردود الفعل ازاءها متضاربة، وللأسف الشديد، نراها أكثر تضاربا في عالمنا العربي والإسلامي بصفة عامة.

وقد كرر زعماء المقاومة الأفغانية أنهم في حاجة إلى السلاح، وأن الدولة الوحيدة التي تخدمهم

مارجريت تاتشر
اسعار البترول
زادت ١٠٠٪

بهذا السلاح هى مصر ، ومصر معقلة العضوية فى المؤتمر الإسلامى ، أما أعضاء المؤتمر فهم مقتنعون على أنفسهم بين مشجع للاحتلال الروسى وبين رافض له رفضا كلاميا ، ولا شىء غير ذلك . وتلك هى أضحوكة العالم الحديث . ومثار السخرية فى صفوف المسلمين قاطبة .

ولكن ما الحيلة ، وزعماء دول الرفض واقعون تحت قبضة موسكو ، كما يقع تحتها السيد كارميل ، الذى يفكر الآن فى الانتحار خلاصا من المأزق الذى وضعه فيه الروس أسياده .

ولن تحل المشكلة بالسياسة ، ولكنها تحل بالمقاومة المسلحة ، وبوقف تدفق الروس فى المستنقع الأفغانى طويلا ، ثم بتسحين ملابسهم الملونة بالطين ، ووجوههم المحمرة بالخجل وستظل مصر واقفة فى صف مسلمى أفغانستان ، بالرغم من قرارات المؤتمر الاسلامى المخجلة !

لماذا العجلة ؟

أظنه من التكرار الممل ، أن أحصى هنا ما تفعله حكومة السيد مناحم بيجين ، من اجراءات وتصريحات كفيلة بعرقلة أية مفاوضات بشأن الحكم الذاتى الفلسطينى .

فما يمر يوم واحد ، الا تطالعنا الأنباء باستفزاز جديد ، وخرق لكل اتفاق ، وأعمال عنف ضد الفلسطينيين فى الأرض المحتلة ، وتجاهل للقرارات الأمم المتحدة بشأن اقامة المستوطنات ، ووضع مدينة القدس ، وسوء معاملة الأهالى سواء فى داخل سجون اسرائيل أو فى خارجها . ولا يكف قادة العالم عن التنديد بذلك كله ، ابتداء من الحليفة الأولى لاسرائيل ، وهى أمريكا ، ومرورا بقداسة بابا الفاتيكان ، والأمين العام للأمم المتحدة ، وقادة دول السوق الأوربية المشتركة . ناهيك بردود الفعل المتالية فى أرجاء العالم العربى والاسلامى بأسره .

وأظنه أيضا من التكرار الممل أن أقول ان حكومة السيد بيجين ، تجتاز الآونة الأخيرة ، اهتزازا شديدا . فالوزارة غير متجانسة ، والأزمات تهددها بين يوم وآخر ، وأغلبيتها البرلمانية فى الكنيست أصبحت لا تزيد على ثلاثة أعضاء ، يمكن أن يتخلوا هم أو أكثر منهم عن تأييدهم بالوزارة فى أية لحظة .

ورغم العلاقات الوطيدة التقليدية بين اسرائيل وأمريكا ، فقد أفلح السيد بيجين فى أن يفصح هذه العلاقات أقل متانة وصفاء من أى وقت مضى ، ودول الغرب الأوروبية لم تعد تقف فى صف اسرائيل كما كانت منذ سنوات خلت .

وكل هذا مجتمعا ، يجعلنا نتساءل : لم العجلة فى استئناف مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى ، مادام السيد بيجين يحتل مقعده فى رئاسة الوزارة ، بل يريد أن ينقل هذا المقعد الى القدس الشرقية ؟ أليس من الأفضل أن نتريث حتى تبلغ الأمور مداها ، ويقع ما لابد منه وهو أن تستقيل الوزارة الحالية ، وتجرى انتخابات جديدة ، ويأتى بوزارة تمثل الرأى العام الاسرائيلى أكثر مما تمثله حكومة السيد بيجين الآن ، وهى تسير تجرجر القصور الذاتى ؟ هل من المعقول أن نصدق أن حكومة السيد بيجين تمثل فعلا رأى أغلبية الشعب الاسرائيلى بعد ما طرأت التغيرات الأخيرة ، منذ مبادرة السلام حتى الآن . لا أظن أن السيد بيجين نفسه يعتقد ذلك . فالأولى اذن أن نتفاهم مع الممثلين الحقيقيين للرأى العام الاسرائيلى الجديد ، الذى ظهرت فيه حركة السلام الآن ، والذى أصبح يؤمن بأن السلام مع العرب أجدى على اسرائيل

ومهما يكن الأمر ، فإن ذلك سوف يحدث حتما ، سواء انتظرنا حدوثه أو لم ننتظر . وسنواجه عما قريب بواقع جديد ، ووجوه جديدة ، ورغم كل ما يقال من أن الاسرائيليين هم اسرائيليون ، سواء كانوا من كتلة ليكود ، أو من حزب العمل ، أو من غيرهما ، فإن هناك فروقا نسبية لا يمكن انكارها . وما نراه الآن من تغيرات فى المسرح السياسى الاسرائيلى نفسه ، لم يكن يخطر لنا على بال ، قبل مبادرة السلام واتفاقيات كامب دافيد ، فلعل المستقبل القريب يأتى بجديد ، ينبثق من أزر العقول المرنة المتفهمة للمتغيرات الدولية ، بل للمصالح الاسرائيلية نفسها .

وأعود فأقول متسائلا : لم العجلة ؟ كل آت قريب . وسوف نشهد ما لم يكن فى الحسبان . قريبا جدا باذن الله !

ممرّو الأنفاق

كم أسعدنى أن اقرأ عن الإجراءات التى تتخذ الآن لتنفيذ المرحلة الأولى من ممرّو الأنفاق . وسعادتى بذلك ، ليس مرجعها الى رحام المواصلات

جون وين . منحة كارتر أعلى وسام

باريك كارميل الرجل الذى وقع تحت قبضة موسكو

وتعطل حركة المرور مما نشكو منه جميعا . ولكنى فى الواقع أتوق إلى أن أعيش حتى أرى وسائل التكنولوجيا الحديثة .

وقد استطاعت أن تفتح بطن القاهرة ، وتخرج أمعاءها من أسلاك ومواسير ومياه جوفية وطمى . لتبنى مكانها نمرا كبيرا واسعا عاليا يجرى فيه المترو ، وتمتد فيه الكهرباء ووسائل التهوية وتبنى فيه المحطات وتوضع اللافتات والملصقات الاعلانية ، أريد أن أعرف كيف يسير العمل فى مثل هذا المشروع ، وكيف يحفر وسط المدينة المكتظة بالناس ووسائل الركوب والنقل المختلفة . صحيح أننا بقدرتنا الفائقة ، استطعنا أن نقيم عددا من الكبارى العلوية ، ومن أبرزها كوبرى ٦ أكتوبر . ولكنها كبارى علوية لا سفلية . وصحيح أننا حفرنا نفق الشهيد أحمد حمدى ، وهو لا يجرى فى باطن الأرض ، بل تحت الماء أيضا . ولكن النفق يقع فى منطقة غير آهلة بالسكان ، ولا تعوقها العمارات والأبنية وما يستلزمها من وسائل النقل والحركة المستمرة .

أما الحفر فى وسط القاهرة ، فذلك هو ما أتطلع إليه ، وخاصة أننا عندما نحفر قناة صغيرة فى أحد الأرصفة ، نمر فيها سلك التليفونات أو الكهرباء أو ماسورة المياه أو الصرف الصحى ، تنقلب الدنيا رأسا على عقب ، ويتعطل المرور ، وتتكدس الخنقات الناتجة عن الحفر ، ويمتلئ الناس بالشكوى . هذا من حفر قناة قد يبلغ عرضها مترا واحدا ، وعمقها ثلاثة أمتار على الأكثر .

أما مترو الأنفاق ، فى مرحلته الأولى الممتدة من باب اللوق إلى كوبرى الليمون ، فسوف يكون عرضه لا يقل عن عشرة أمتار ، ولا يقل عمقه عن خمسة عشر أو عشرين مترا . فكيف يمكن العمل وسط هذا الزحام ، وكيف يمكن التوفيق بين تنفيذ هذا المشروع الكبير ، وبين أن تجرى الأمور وسط القاهرة تجراها العادى برغم ما يتطلبه التنفيذ من معوقات ضخمة . هنا تكمن أسرار التكنولوجيا الحديثة ، وما أظنها ستعجز عن التنفيذ ، وهى التى قامت منذ عشرات السنين بمثل هذا العمل الجبار ، فى باريس ولندن وغيرهما .

وحبذا لو بدأ المشروع فى أسرع وقت ممكن ، قبل أن تزيد النفقات وترتفع الأسعار يوما بعد يوم ، فلا نستطيع اللحاق بها .

ومرحبا بمشروعات الاقتحام الطموح ، ومرحبا بالتكنولوجيا الحديثة ، التى نتطلع الى تعلمها والتدريب عليها ، ليأتى علينا الدور لنقوم نحن بالتنفيذ ، فى مصر ، وفى غيرها من سائر بلاد العالم .

تنسى وليامز

منذ أيام ، قرر الرئيس كارتر منح أربعة عشر شخصا أمريكيا ، أعلى وسام فى الدولة ، وهو وسام استحدثه الرئيس الأسبق ترومان وسماه وسام الحرية . وهو يمنح للمميزين الكبار من الأمريكيين فى شتى ميادين العلم والفن وغيرهما وكان من بين الأسماء التى استوقفتنى فى قائمة هذا العام ، اسم الممثل الراحل جون وين ، واسم المؤلف الروائى المسرحى السينمائى الكبير تنسى وليامز .

والكاتب الأمريكى الكبير ، يناهز الآن السبعين من عمره ، فهو اذن من جيل الكتاب الأمريكيين المخضرمين ، الذين ينتمى هو ورولبم انج وآرثر ميللر . واذا استطاع كاتب مسرحى أن يبرز فى أمريكا ، فلابد أن يكون مبدعا علاقا فريدا فى عبقريته ونبوغه . ذلك ان الكاتب المسرحى الأمريكى ، ليس من اليسير عليه أن يرضى جماهير المتفرجين ، فى بلد حديث التكوين ، متعدد الأصول والعروق ، متباين الطبقات ، متفاوت الثقافات ، متغير المزاج مع تغير أحوال العالم السياسية والاقتصادية والثقافية . ثم ان عملية انتاج العمل المسرحى ، تكلف هناك أموالا باهظة ، ولا يمكن لمنتج مسرحى أن يقدم على عرض احدى المسرحيات ، وينفق عليها ملايين الدولارات ، الا اذا كان مؤلفها عملاقا .

وقد منح تنسى وليامز جائزة بولتزر مرتين ، فى عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٥ كما منح جائزة جمعية النقاد والمسرحيين فى نيويورك أربع مرات ، فيما بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٦٦ . ومن مؤلفاته الشهيرة التى يعرفها كثيرون من القراء العرب ، الحيوانات الزجاجية ، وعربة اسمها اللذة ، والصيف والدخان ، وروشم الوردة ، وقطة فوق سطح من الصفيح الساخن ، وطائر الشباب الحميل ، وقطار اللذين لن يتوقف هنا بعد ذلك ، الى آخر الأعمال الشهيرة التى غمرت الأسواق كتبا مطبوعة ، وأمتعت ملايين المشاهدين على مسارح برود واى ، وملايين غيرهم بعد أن أخرجت روايات للسينما .